﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ١٣٢﴾

[النساء: 132]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تَـكـرار تذكير العِباد بشمول مُـلـك الـلـه لمخلوقاته بعد ذِكْرِ غِناه عنهم

أعادَ اللهُ ﷻ تذكيرَ عباده بكونِه مالكَ السَّمواتِ والأرضِ؛ أي: العوالمِ كلِّها؛ ليتمثَّلوا عظمتَه، ويستحضروا الدَّليلَ على غناه وحمدِه؛ فيعلَموا أنَّه إذا كان قد توكَّل بإغناءِ كلٍّ مِن الزَّوجين إذا أقامَا حدودَه في تفرُّقِهما، فإنَّه قادرٌ على ذلك، كما أنَّه قادرٌ على إنجازِ كلِّ ما وعَد وأوعَد به، فيجبُ أن يكتفوا به في التَّوكُّلِ لهم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَكِيلًا﴾: كفيلا قَيِّما بِجَمِيعِ مَا خَلَق؛ مُشْتَقٌّ من (وكل) تقول ووكلتُ فلَانا الى كذا أَكِلُه وكلًا ووُكولًا، وَتقول: كِلْني إلى كذا أَي دَعْنِي أقِم بِهِ، وأصل (وكل) يدلُّ على اعتمادِ غيرك في أمرك، وعلى هذا المعنى تدور اشتقاقات هذه الكلمة، ومنه التَّوَكُّل وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك، وواكل فلان: إذا ضَيَّعَ أمره مُتَّكِلًا على غيره، والوكيلُ في أسماء اللهِ ﷻ: القَيِّم الكَفيل بأَرْزَاقِ العِباد، وسُمِّيَ الوكيل لأنَّه يُوكل إليه الأمر كُلُّه، وحقيقتُه أنَّه يستقلُّ بأمر المَوكولِ إليه[2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

إلى الله يُوكل الأمر كُلُّه

اللهُ وحده المالك لكلِّ المخلوقات، الكفيلُ بها والقَيِّمُ عليها، وله وحدَه ملك ما في السَّماوات وما في الأرض، فهو المُسَيْطِرُ والمُسَيِّر

(1) رضا، تفسير المنار: 5/369.

(2) ابن دريد، جمهرة اللُّغة، والأزهري، تهذيب اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب، وابن الأثير، النِّهاية: (وكل).

والمدبّر، المُستَحِقُّ أن يُطاع، وكفى به سُبحانه قائمًا بشؤون خلقه حافظًا لها[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

نكتة مجيء الواو الاستئنافية في قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾:

لمّا كانت الواو استئنافيَّةً دلَّ على أنَّ الكلام مستأنف مسوقٌ للمخاطبين توطئةً لما بعده من الجملة الشرطية وتمهيدًا لما يحكمُ بها[2].

بلاغة إيجازِ القصر في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾:

في الجملة تخصيص ما في السماوات وما في الأرض لله تعالى، بمعنى أنَّ له سبحانه ما فيهما من الخلائق خلقًا ومُلكًا يتصرف فيهم كيفما يشاء إيجادًا وإعدامًا وإحياءً وإماتة[3].

لله ما في السماوات وما في الأرض خلقًا ومُلكًا يتصرف فيهم كيفما يشاء

مناسبة الإطناب في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾:

لمّا كان قوله ﴿وَكِيلٗا﴾ تمييزًا، فالكلامُ على معنى الإطناب لتوخّي الإجمال والتّفصيل، فإنَّ المسند إليه موصوفٌ بكونه وكيلًا؛ لأنَّ الاسم الجليل (الله) متّصف بجميع كمالات صفات الجلال والجمال، فلمّا جاء التّمييز ﴿وَكِيلٗا﴾ كأنَّه فصّل ما أجمله في الاسم الجليل من وصفِ الوكيل[4].

إفادة التّمييز الإطناب في الكلام لتقرير المعنى

بلاغةُ التّذييل في قولِه تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾:

لمّا كان الله مالك السماوات والأرض، أي العوالم كلها، فإنَّه قادر على إنجاز كلِّ ما وعد وأوعد به، فيجب أن يكتفوا به في التَّوكل لهم، بحفظهم وتدبيرِ أمورِهم، ويُستعمل الوكيل بمعنى المهيمن والمسيطر

الاكتفاء بالله في التّوكّل

(1) لجنة من عُلماءِ الأزهر، المنتخَبُ في تفسير القرآنِ الكريم، ص: 134، ونُخْبة من أساتذة التَّفسير، التَّفسير الميُسَّر، ص: 99، وجماعَةٌ من علماء التَّفسير، المُخْتَصَر في تفسير القرآن الكريم، ص: 99.

(2) أبو السُّعود، إرشاد العَقْل السّليم: 2/241.

(3) أبو السُّعود، إرشاد العَقْل السّليم: 2/241.

(4) السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 284.

والرَّقيب، وفي جملة التّذييل معنى العمومِ والكلّيَّة فهي في مقامِ المَثَلِ لإمكانِ التَّمثُّلِ بها[1].

نكتة تَكرار جملة ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾:

تكررت جملة ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ وفي كلٍّ مرَّة لها دلالة مقصودة تختلف عن الأخرى، فكُرِّرتِ العبارةُ ثلاث مرات وسبقتها جملة نظيرتهن: وهي ما تقدم من قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطًا ١٢٦﴾ [النساء: 126]. فحصل تكرارها أربع مرات في كلام متناسق.

تقريرٌ لِمَا هو موجِبُ تَقْواه ليتَّقوه، فيُطيعوه ولا يعصُوه، وتأكيد ذلك

فأما الأولى السابقة فهي واقعة موقع التعليل لجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: 116]، ولقوله: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [النساء: 116]، والتذييل لهما، والاحتراس لجملة ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ [النساء: 125] وذكرت الثَّانية في بدايةِ الآية (131) تسليةً للإنسان عما فاته، وتنبيهًا على موضع الرجاء لهذين المفترقين، وذكرَت الثَّالثة: لبيانِ أنَّ وصيَّته لرحمته لا لحاجته وأنَّهم إنْ كفروا به لا يضروه شيئًا، ففيه تنبيهٌ على استغنائه عن العباد، ومقدمة للخبر بكونه غنيًّا حميدًا، وذكرَت الرّابعة للدَّلالة على كونه غنيًّا وليكونَ مقدِّمةً للوعيد، وبيانُ وجه الإعادة عمومًا أنَّه وإذا كان الدليل الواحد دليلا على مدلولات كثيرة فإنه يحسن ذكر ذلك الدليل ليستدل به على أحد تلك المدلولات، ثم يذكره مرة أخرى ليستدل به على الثاني، ثم يذكره ثالثا ليستدل به على المدلول الثالث، والمرجعُ في تعيين المراد هو السِّياق، وهذه الإعادة أحسن وأولى من الاكتفاء بذكر الدليل مرة واحدة؛ لأنه عند إعادة ذكر الدليل يخطر في الذهن ما يوجب العلم بالمدلول، فكان العلم

(1) رضا، تفسير المنار: 5/369.

الحاصل بذلك المدلول أقوى وأجلى، فظهر أن هذا التكرير في غاية الحسن والكمال[1].

أَسْرارُ ختم الآيات الثَّلاث بما خُتِمَتْ به من أوصاف الله تعالى:

بيان تمام إحسان الله تعالى لخلقه وتفضُّله عليهم وحفظه لهم مع غناه عنهم في كل ذلك

في الآية الأولى إذنٌ للرَّجل والمرأة في أنْ يتفرّقا بطلاق بعد عدم انقيادهما لحُسن المعاشرة ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أي: يرزقُه زوجًا خيرًا من زوجه وعيشًا أَهْنأ من عَيْشِهِ[2]، ولمَّا قال: ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ ناسب هذا ذِكْرُ ما يقتضي من صفاته عموم وجوه الإحسان، وأنَّه هو الذي يغني المحتاج منهما؛ لأنَّه لا نفاد لما عنده - سبحانه - فإنّهما بعد الفرقة يَرْجُوان الغنى من عنده؛ لأنَّه سُبحانه واسعُ الرِّزق وواسع المقدرة فإنَّ لله ما في السَّماوات وما في الأرض وأرزاق العباد من جملتها، وأنَّه سبحانه المُنفرد بِعِلْمِ وَجْهِ الحكمة في تآلُفهم وتفرُّقهم؛ لذا كان من المناسب أن تُختم الآية الأولى بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ عَقَّب ما تقدَّمه من قوله: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ فهو سُبحانه كثير العطاء، جَمَّ الإحسان عليم بخفيات مصالح العباد، ثُمَّ أتبع بما يُلائِمُ ذلك ويزيده وضوحًا من إخباره تعالى من أنَّ السَّماوات والأرض وما فيهما ملكه، فقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، ثُمَّ أتبع سُبْحانه بما يرجع إلى عموم إحسانه إلى من تقدَّم من المخاطبين بِكُتُبِهِ المُنَزَّلة رحمةً لعباده وإحسانًا كما أحسن إلى المواجهين بهذا الكتاب، فقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، وَأَعْلَمَ - سُبحانه - أنَّه مُحْسِنٌ بذلك إليهم؛ لأنَّ تقواهم إيَّاه تعالى تُثْمِرُ لهم السَّلامة من عذابه، والنَّجاة من أليم عقابه، وأنَّه ليس به إلى تقواهم من حاجة، ولا تعود إليه سبحانه من ذلك منفعة

(1) الراغب، تفسير الراغب: 4/187، وابن عطية، المحرر الوجيز: 2/122، والرازي، مفاتيح الغيب: 11/239، وأبو حيان، البحر المحيط: 4/92.

(2) الزَّمخشريّ، الكشاف: 1/573.

إذ هو الغنيُّ عنهم وعن عبادتهم فقال: ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فهو الغنيُّ عنكم وعن عبادتكم، والكُلُّ ممن في السَّماوات والأرض مُلكٌ له سبحانه وتحت قهره، وفي قبضته يفعل فيهم ما يشاء ولا يكون منهم إلا ما يشاؤه ويريده وهو الغني الحميد، ثُمَّ أَكَّدَ بقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ لِمَا بُنِيَ عَلَيْهِ من قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾، أي حافظًا لجميع ذلك، مُنفردًا بتدبيره، فختام الآيات بهذا هو المناسب[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الحفيظ والوكيل:

الحفيظ أعمُّ من الوكيل من جهة الشَّيء المحفوظ

الوكيل في صفات الله بمعنى المُتولِّي القائم بتدبير خلقه؛ لأنَّه مالك لهم رحيم بهم، مهيمنٌ عليهم[2]، والحفيظ: الحارس ومن يُجعل إليه نظر غَيْرِه وحفظه، وهو بمنزلة الوكيل إلَّا أنَّ الوكيل يكون مجعولًا له الحِفظ من جانب الشَّيء المحفوظ، والحفيظُ أعمُّ؛ لأنَّه يكون من جانبه ومن جانب مواليه، ولكلِّ وصفٍ جليلٍ سياقُه ومقامُه[3].

(1) ابن الزُّبير، ملاك التَّأويل: 1/110.
(2) العسكريّ، الفروق اللُّغوية، ص: 577.
(3) ابن عاشور: التَّحرير والتَّنوير: 7/421.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»